Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 2 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

شقيق البلخي رائد التصوف الزهدي في القرن الثاني الهجري –دراسة تحليلية لحياته وفكره

Shaqiq al-Balkhi: A Pioneering Ascetic Sufi in The 2ed Century AH- An Analytical Study of His Life and Thought

أ.م.د. سعدي محمد علي كصبان
جامعة الموصل / كلية الآداب
قسم التاريخ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث:

يعد شقيق العلمي وهو أبو علي بن إبراهيم البلخي (١٩٤-٨١٠هـ) واحداً من أبرز أعلام الزهد والتصرف المبكر في خراسان ومن الشخصيات التي أسهمت في تشكيل الملامح الأولى للتجربة الروحية في العالم الإسلامي، ينتمي شقيق إلى مدينة بلخ في بلاد خراسان وهي مركز علمي وزهدي كبير في العصر العباسي، نشأ في بيئة تجارية وكان في بداية شاعراً واسع الثراء قبل ان يتحول إلى طريق الزهد بعد حادثة مؤثرة اثناء سفره التجاري أذ أدرك –حسب الروايات– حقيقة التوكل على الله وترك الاعتماد على الأسباب القاهرة.

التعرف بشخصية شقيق البلخي من حيث نسبه ونشأته وبيئته العلمية في بلخ وخراسان وإبراز دوره في تطور الزهد والتقوى المبكر في العصر العباسي وتحليل العوامل التي اثرت في تكوين فكره الزهد وانتقاله من التجارة إلى طرق العبادة دراسة اهم مفاهيمه الروحية مثل التوكل اخلاص النية – محاسبة النفس والخوف من الله بيان علاقته بإعلام عصره شر إبراهيم بن أدهم وعبدالله بن المبارك ومدى تأثير هؤلاء عليه وتأثيره عليهم.

رصد حضور شقيق البلخي في كتب الطبقات والتراجم وتقييم دقه الروايات المتعلقة به واظهار أثره في المدرسة الخراسانية في التصوف وفي الأجيال اللاحقة من الزهاد والمتصوفة وجمع وتحليل النصوص المروية عنه من المصادر الأصلية مثل حلية الأولياء، وصفة الصفوة والزهد الكبير وتقييم اسهامات شقيق البلخي في الفكر الاخلاقي وبيان أهم سمات منهجه وأبرز مكانته في التاريخ الروحي الإسلامي وتوضيح سبب اعتباره من رواد التصوف المبكر.

الكلمات المفتاحية: (شقيق – التصوف – بلخ – التوكل – الزهد)

Research Summary:

Shaqiq al-Alami, also known as Abu Ali ibn Ibrahim al-Balkhi (194-810 AH), is considered one of the most prominent figures of early asceticism and

spiritual practice in Khorasan. He was among the figures who contributed to shaping the early features of spiritual experience in the Islamic world. Shaqiq hailed from the city of Balkh in Khorasan, a major center of learning and asceticism during the Abbasid era. He grew up in a commercial environment and was initially a wealthy poet before turning to the path of asceticism after a profound incident during a trading journey. According to accounts, he realized the true meaning of reliance on God and abandoning dependence on material means.

This research aims to introduce Shaqiq al-Balkhi, examining his lineage, upbringing, and scholarly environment in Balkh and Khorasan. It highlights his role in the development of early asceticism and piety during the Abbasid era, analyzing the factors that influenced his ascetic thought and his transition from trade to worship. The research also explores his most important spiritual concepts, such as reliance on God, sincerity of intention, self-examination, and fear of God. Furthermore, it examines his relationship with prominent figures of his time, such as Ibrahim ibn Adham and Abdullah ibn al-Mubarak, and the extent of their influence on him and vice versa. This study examines the presence of Shaqiq al-Balkhi in biographical dictionaries and assesses the accuracy of accounts related to him. It demonstrates his influence on the Khorasani school of Sufism and on subsequent generations of ascetics and Sufis. The study also involves collecting and analyzing texts attributed to him from primary sources such as *Hilyat al-Awliya*, *Sifat al-Safwa*, and *al-Zuhd al-Kabir*. Furthermore, it evaluates Shaqiq al-Balkhi's contributions to ethical thought, identifies the key features of his methodology, highlights his prominent position in Islamic spiritual history, and explains why he is considered a pioneer of early Sufism.
Keywords: (Shaqiq - Sufism - Balkh - Reliance on God - Asceticism)

المقدمة:

التصوف: هو علم تزكية النفوس وتصفية القلوب حتى يتحقق العبد بمرتبة الاحسان على منهج الكتاب والسنه فيكون قلبه مع الله وخلقه مع الناس.

أولاً: التصوف الإسلامي(القشيري، د.ت، ص٤٥ ؛ الهجويري، ١٩٦٦م، ص٦٤):

هو الجانب العملي والروحي من الدين الذي يركز على تزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتحقيق الإحسان اي "ان تعبد الله كأنك تراه" ، وهو سعي المسلم ليكون (أخلص لله – أصدق في عبادته – أزهد في الدنيا – أرقى في الاخلاق والسلوك)، مع التزام الكتاب والسنه دون غلو أو تكلف.

ثانياً: المعنى الحقيقي للتصوف عند الأوائل

١- التصوف الزهد: قال الإمام أحمد بن حنبل (ابن الجوزي، ١٩٨٦م، ص١٥٨) التصوف: التفرغ للعبادة، وطيب النية والإعراض عن الناس، قال سفيان الثوري (القشيري، د.ت، ص٤ ؛ ابن عجيبة، د.ت، ص٥): الصوفية قوم آثروا الله على كل شي فآثرهم الله على كل شي.

٢- التصوف التزكية: قال الجنيد (إمام الصوفية): التصوف أن يميتك الحق عنك، ويحييك به وقال أيضاً (اخلاق كريمة ظهرت في وقت كريم على قوم كرام) (القشيري، د.ت، ص ٥٨ ؛ الطوسي، ١٩٦٠م، ص٤٢-٤٣).

٣- التصوف الاحسان: قال ابن تيمية (ابن تيمية، د.ت، ج١١، ص١٨- ١٩): الصوفية في اهلها: الزهد والعبادة، والاجتهاد في تزكية النفس وتهذيب الاخلاق وما وافق الكتاب والسنة فهو من الدين وما خالفها فهو باطل.

ثالثا: جوهر التصوف:

١- الاخلاص: تطهير نية العبد من الرياء والعجب.

٢- التوكل: الثقة بالله وترك التدبير المذموم للنفس (القشيري، د.ت، ص٦٨- ٧٠).

٣-المحبة: ان يكون الله أحب إلى العبد في كل شيء(الهجويري، ١٩٦٦م، ص١٠٠-١٠٥).

٤-الذكر: الإكثار من ذكر الله قلباً ولساناً.

٥-المجاهدة: مجاهدة النفس والهوى.

٦-الصدق والورع: التزام الحلال والبعد عن الشبهات.

أهمية البحث في الدراسات الصوفية والتاريخية الإسلامية:

يكتسب البحث في سيرة شقيق البلخي أهمية خاصة في سياق الدراسات الصوفية والتاريخية، لكونه يعد في أوائل من مهدوا للتصوف الإسلامي بشكله المنهجي، قبل تشكل المدارس الصوفية المنظمة، يمثل شقيق البلخي حلقه وصل حاسمة بين الزهد السلوكي الذي ساد في عصر التابعين. والتصوف النظري والعلمي الذي تطور لا حقاً على يد اعلام كبار كالجنيد والبسطامي. ان تتبع مسيرته الفكرية والروحية يتيح فهما أعمق لنشأه المفاهيم الصوفية المبكرة مثل (التوكل والزهد والمراقبة) كما يساعد على استجلاء كيف ساهمت بيئة خراسان في صياغة نموذج من التدين الفردي الذي يحمل ابعاداً اجتماعية وروحية متداخلة.

وعلى الصعيد التاريخي، يعد شقيق البلخي شاهداً على مرحله تحول فكري مهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين حيث بدأت ملامح التخصص الروحي تتبلور في العالم الإسلامي متجاوزة الشكل التعبدي التقليدي إلى (حالة روحية متقدمة) تسهم في تشكيل الهوية الإسلامية الروحية، كما ان دراسة

مروریاته وتعاليه تساعد على نقد وتفكيك بعض المرويات التراثية التي اختلط فيها الواقع بالرمز والاسطورة مما يعزز مناهج البحث التاريخي النقدي في التراث الإسلامي.

اما في مجال الدراسات الاسلامية عموماً فإن البحث في شخصيه شقيق البلخي، يفتح آفاقاً لفهم البعد الاخلاقي والسلوكي في الإسلام من خلال قراءة تجارب الأفراد الذين سعوا لتحقيق اقصى درجات الإخلاص والتجرد لله بعيد عن السلطة والرياء وهو ما يجعل من دراسة هذا الشخصية وسيلة لفهم روح الاسلام لا في نصوصه فقط بل في تجلياته لحياتيه عند المسلمين الأوائل

أولاً: النسب

هو شقيق بن إبراهيم بن شريك البلخي ويكنى أبو علي ويعرف غالباً باسم شقيق البلخي (السلمي ، ١٩٧٥، ص٦١)، ينتمي إلى الازد (الازد: وهم بنو الازد بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبابن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم من العرب القحطانيين (اهل اليمن وموطنهم الأصلي جنوب الجزيرة العربية وخاصتاً في منطقه مأرب وكانوا اهل ملك وتجاره واشتهروا بكثرة بطونهم وفروعهم. ابن حزم ، ١٩٤٨م، ص٤٧٣)، وهي قبيلة عربية معروفة ومن هنا جاء نسبه الكامل أحياناً شقيق بن إبراهيم بن شريك الازدي البلخي(السلمي، ١٩٧٥م، ص١٦)، واشتهر شقيق البلخي بإسناد والحديث (ابن عساكر، د.ت، ج٦، ص٢٩٩) كما انه تتلمذ على يد أبي الهذيل العنبري(ابي الهذيل، محمد بن الهذيل العنبري التميمي من قبيلة بني عنبر في بني تميم وهو من البصرة من كبار الفقهاء والمحدثين والقضاة تولى القضاء في البصرة في الخلافة العباسية وكان من تلاميذ الحسن البصري وكان ثقه من اهل الخير والفضل. ابن سعد د.ت، ج٦، ص٣٨٧ ؛ الذهبي،: د.ت، جـ ٨، ص٣٨)، (ت: ١٥٨هـ / ٧٧٥م)، وصاحب الإمام أبي حنيفة النعمان (ت: ١٥٠هـ / ٧٦٧م) (أبو حنيفة: هو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي ولد في الكوفة سنه (٨٠هـ / ٦٩٩ ١٥٠ – ٧٦٧م) وهو احد الائمه الأربعة المذاهب الفقهية الكبرى في الإسلام ومؤسس المذهب الحنفي وكان فقيه العراق وامام أهل الري جمع بين العلم والذكاء والورع والاستقلال والاجتهاد. الذهبي، د.ت، جـ٦، ص٣٩٠).

ثانياً: المكان

شقيق البلخي من أهل مدينه بلخ (مدينه بلخ : تعد من أقدم المدن الإسلامية وأشهرها في خراسان وكانت مركز علمياً وروحياً كبيراً في التاريخ الإسلامي كما انها تعد من أقدم مدن المشرق الإسلامي فتحها المسلمون في خلافة عثمان من عفان ﷺ على يد الاحنف بن قيس التميمي سنه (٣١هـ / ٦٥١م) ومنذ ذلك الحين اصبحت بلخ مركزاً مهما للإدارة والتصوف في خراسان. ياقوت الحمدي، عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ١٩٩٠، جـ١، ص٤٦٦)، وهيه مدينة عظيمة

من خراسان "تقع اليوم في شمال أفغانستان الحالية" وكانت من أهم مراكز العلم والزهد في القرنين الثاني والثالث الهجري (ياقوت الحموي، ١٩٩٠م، جـ ١، ص٤٦٦.).

ثالثاً: المولد

ولد شقيق البلخي في مدينة بلخ التابعة لإقليم خراسان في حدود الربع الأول من القرن الثاني الهجري على الارجح بين عامي (١٠٠ – ١٢٠هـ) لكن التاريخ الدقيق غير محدد وتوفي شقيق البلخي حوالي سنه (١٩٤هـ / ٨١٠م) (القشيري، د.ت، ص٨٦)، ففي رواية الذهبي ذكر ((ان شقيق البلخي استشهد في غزوة كولان سنه اربع وتسعين ومائه)) (الذهبي، ١٩٩٠م، جـ ٨، ص٣٩٨)، وهذا ما اكده كل من ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ (ابن الأثير، ١٩٨٥م، جـ٦، ص٢٣٧.)، وخير الدين الزركلي في كتابه الأعلام الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد علي (ت: ١٣٩٦هـ)، الاعلام، (بيروت : ١٩٨٠م)، جـ٣/ ص١٧١. (الزركلي، ١٩٨٠م، جـ٣/ ص١٧١.)، والكتبي في كتابه فوات الوفيات (الكتيبي، ١٩٧٣م، جـ١، ص٤٨٥.)، كما تذكر بعض الابحاث انه كان يقيم في احدى الحصون (Ribat) في وشجاير (woshgird) الواقعة في شرق بلاد فارس حيث كان من المتطوعين لمحاربة الوثنين من الترك في وسط اسيا وهذا ما أكدته المصادر استشهاده في معركة كولان (Kalan) التي دارت ببلاد الترك في اكسس (oxus) الجنوبية عام (١٩٤هـ / ٨١٠م) (Rattled,1986,540.).

وقال عنه أبو نعيم الأصبهاني (الأصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ص٥٩) (في حلية الأولياء "الزاهد وصاحب المواعظ والرقائق و كان ممن سبق الى التوكل ودوام المراقبة" وفي سير الإعلام للذهبي (د.ت، ج٩، ص٣١٣.)، ورد انه "اخذ العلم عن ابراهيم بن أدهم (إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي ويقال التميمي ويكنه أبو إسحاق الزاهد البلخي وكان من ابرز أعلام الزهد التصوف في القرن الثاني الهجري ويعد في الجيل الأول الذين لهم اثر كبير في تأسيس المدرسة الصوفية في خراسان (ت: ١٦١هـ) وكان تلميذ الحسن البصري وتأثر به في الزهد والتوبة والورع وروي عنه أقوال كثيرة في التوكل والإخلاص وترك التدبير. الأصبهاني ١٩٨٨م، جـ٧، ص٣٧٠ وما بعدها؛ ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٣، ص١٧ وما بعدها.) "، وكان من ائمه القوم في بلخ له كلام في التوكل والزهد وكان شقيق البلخي من أصل عربي لكنه نشأ في بيئة فارسية خراسانية وهي ملاحظة مهمه لفهم ومزج الثقافة العربية والفارسية في بدايات التصوف (السلمي، ١٩٧٥م، ٦١).

رابعاً: الروايات التاريخية لشقيق البلخي

لترك الترف والتجاءه للزهد، تقدم لنا الروايات التاريخية حول شخصية شقيق البلخي حينما ترك المال والجاه والتجارة إلى حياة الزهد والعبادة لله حيث نجد عدة روايات ومنها:

١- الرواية الأولى:

ما ذكره الذهبي (١٩٩٥م، ص٢٧٩)، حيث قال "كان عنده ثلاثمائة قرية ثم مات بلا كفن وكان من كبار المجاهدين".

٢–الرواية الثانية:

وتذكر ان شقيق البلخي كان من أبناء الأغنياء وخرج للتجارة إلى أرض الترك وهو في شبابه فدخل إلى بيت اصنامهم فرأى خادماً للأصنام فيه قد حلق راسه ولحيته ولبس ثياباً ارجوانية فقال شقيق البلخي للخادم ان هذا الذي انت فيه باطل ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شي رازق كل شي فقال له الخادم ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق البلخي كيف قال زعمت ان لك خالقاً قادراً على كل شيء فان كان كما تقول فهو قادر على ان يرزقك ببلدك فلم تعذبت إلى هنا للتجارة، فانتبه شقيق واخذ في طريق الزهد(القشيري، د.ت، ص٨٥).

٣–الرواية الثالثة:

روى انه رأى مملوك يلعب ويمرح في زمان قحط وكان الناس مهتمين به، فقال شقيق البلخي: ما هذا النشاط الذي فيك أما ترى ما فيه الناس من الجدب والقحط فقال ذلك المملوك: وما على ذلك لمولاي قرية خالصة يدخل له منها ما نحتاج نحن إليه، فانتبه شقيق البلخي، وقال ان كان لمولاه قرية، ومولاه مخلوق فقير، ثم انه ليس يهتم لرزقه، فكيف ان يهتم المسلم لرزقه ومولاة غنى (القشيري، د.ت، ص ٨٥).

٤–الرواية الرابعة:

تذكر ان علي بن عيسى بن ماهان كان أمير مدينة بلخ وكان يحب كلاب الصيد، ففقد كلباً من كلابه فسعى برجل انه عنده، وكان الرجل في جوار شقيق البلخي فطلب الرجل فهرب فدخل دار شقيق البلخي مستجيراً فمضى شقيق البلخي إلى الأمير، وقال خلو سبيله، فان الكلب عندي أرده اليكم ثلاثة أيام فخلوا سبيله، وانصرف شقيق البلخي مهتما لما صنع ، فلما كان اليوم الثالث كان رجل من اصدقاء شقيق البلخي غائباً عن مدينه بلخ فرجع اليها فوجد في الطريق كلبا عليه قلادة فأخذه وقال اهديه إلى فحمله إليه، فنظر شقيق البلخي فاذا هو كلب الامير فسر به وحمله إلى الأمير وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه وتاب مما كان فيه، وسلك طريق الزهد(القشيري، د.ت، ص٨٦).

وهذه الروايات التي ذكرتها المصادر التاريخية يمكن الشك بها وتبدوا انها اساطير ذكرت وهيه تبين في طياتها رمزيه (لشقيق البلخي) إذ ارتبط اسمه بمفهوم التوكل على الله عبر تاريخ التصوف الاسلامي. حيث كان العبرة من هذه الروايات في رفع شأن التوكل على الله في كل الامور.

يعد شقيق البلخي أحد ابرز أعلام الزهد والتصوف في القرن الثاني الهجري التاسع الميلادي وهو ينتمي إلى قبيلة الازد احدى القبائل العربية والمعروفة مما يشير في جذور عربية رغم نشأته في البيئة

الخراسانية وقد عرف في كتب التراجم والصوفية باسم شقيق البلخي الازدي نسبه إلى مدينة بلخ والتي كانت آنذاك مركزاً علميا روحياً بارزاً في العالم الإسلامي الشرقي(ياقوت الحموي، ١٩٩٠م، جـ١ ، ص٤٧٩).

نشأ شقيق البلخي في مدينة بلخ أحدى الحواضر العلمية والروحية البارزة في خراسان خلال القرن الثاني الهجري التاسع الميلادي في بيته عرفت بازدهارها العلمي التجاري والديني وقد تلقى في بداية قدراً من العلم الشرعي والوعظ لكنه لم يكن متفرغاً للعلم منذ صغره اذا اشتغل في اول عمره بالتجارة وحقق فيها قدراً من اليسر المادي والنجاح العلمي كما كانت حال كثير من اهل بلخ آنذاك(ابن الجوزي، ١٩٨٦م، ص ١٣٩/٤).

غير ان نقطه لتحول الكبرى في مسيرة شقيق البلخي الروحية جاءت خلال رحلة حج قام بها(ابن عساكر، د.ت، ج٦، ص٩٩ ؛ القمي، ١٤١٨هـ، ص٣٨٢)، التقى خلالها برجل يقال انه كان لا يحمل زاداً ولا مالاً فلما سأله عن ذلك قال " توكلت على الله " وكان هذا الموقف اثر بالغ في قلبه فكان مدخلاً إلى التحول في حياة التجارة الى حياة (الزهد والتوكل والعبادة) وقد عمق هذا التحول ارتباط بالزاهد (إبراهيم بن ادهم) الذي اصبح فيما بعد استاذه ومعلمه وملهمه في الطريق الصوفي، وأثر فيه من خلال دعوته إلى الاخلاص وترك الدنيا والاعتماد الكلي على الله(الاصفهاني، ١٩٨٨م، ج٨، ج٥٩ ؛ الذهبي، د.ت، ج٩، ص٣١٣).

لقد مثلت هذه النقلة تحولاً من نمط التدين الشعبي والتقليدي الى التجربة الروحية عميقة تقوم على الصدق الداخلي والورع والمراقبة الدائمة لله ومن هنا بدأت مرحله جديده في حياته اتجه فيها إلى تعليم الناس الزهد ومجاهدة النفس والتجرد من حظوظ الدنيا فكان من أوائل من نظروا هذا المبادئ ضمن اطار سلوكي تربوي واضح سابقاً بذلك علماً في اعلام الصوفية.

خامساً: أساتذته وتلاميذه وأثره في سلسلة التصوف.

تلقى شقيق البلخي تعليمه الروحي علي يد عدد من العلماء الزهاد و المتعبدين ابرزهم الزاهد المعرف (ابراهيم بن ادهم ت ١٦١هـ) الذي يعد من اوائل من نظروا للزهد الإسلامي القائم على التوكل والانقطاع عن الدنيا والانشغال بخلاص النفس وقد تأثر شقيق البلخي تأثراً بالغا بإبراهيم بن أدهم لاسيما في الجوانب الصدق الروحي وترك التكليف من الاعتماد على الاسباب الظاهرة ويظهر من هذا التأثير جليا كثير من اقوال شقيق البلخي التي تنسب اليه في كتب الزهد وفي تبنيه المبكر لفكرة (التوكل المطلق على الله)، باعتبارها ذروة المنازل الروحية(الأصبهاني، ١٩٨٨م، ص٨، ص٥٨ وبعدها ، البغدادي، ١٩٩٧م، جـ١٠، ص٣٠٩؛ الذهبي، د.ت، جـ٩، ص٣١٣ ؛ ابن الجوزي، ١٩٨٦م، ١٦٣؛ القشيري، د.ت، ص٧٢).

اما في جانب التلقين والتأثير فقد خلف شقيق البلخي عدد من التلاميذ والمريدين الذين رووا عنه اقواله ومواعظه وأسهموا في نشر فكره الزهد فى خرسان وخارجها ومن ابرازهم هؤلاء (حاتم الاصم ت٢٣٧هـ)، الذي يعد امتداداً علمياً لتعاليم شقيق البلخي وواحد من ابرز اعمدة التصوف الخراساني(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ص٧٥–٧٦؛ الذهبي، د.ت، جـ١١، ص٤٨٢؛ القشيري، د.ت، ص ٧٤ ؛ ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٤، ص١٦٤ ، الخطيب البغدادي، د.ت،، ج٨، ص١٦١.).

وقد رويت عنه اقوال تدل على ، رسوخ مدرسة شقيق البلخي في الزهد لاسيما في قضايا مجاهدة النفس، ودوام المراقبة، وترك الاعتماد على الخلق يمثل شقيق البلخي حلقه اساسيه في سلسلة مشايخ التصوف المبكر حيث يربط اسمه غالباً في سلاسل الانساب الروحية التي تبدأ من الحسن البصري (١١٠هـ / ٧٢٨م)(الحسن البصري: ابو سعيد الحسن البصري ولد بالمدينة المنورة سنة (٢١هـ) في خلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعتبر من أحد كبار علماء التابعين من علام الزهد والورع في صدر الاسلام وكان له أثر بالغ في الفكر الاسلامي الصوفي الحقيقي وأصله من موالي الأنصار ونسبه إلى البصرة لأنه نشأ فيها توفي سنه (١١٠هـ / ٧٢٨م) وأخذ العلم عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر بن مالك رضي الله عنه. ابن سعد، د.ت، جـ٢، ص١٣١ وما بعدها، ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٢ ، ص٩٢ وما بعدها)، و تنتقل عبر إبراهيم بن ادهم ثم إلى شقيق البلخي وهؤلاء إلى الجنيد (الجنيد: ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريري البغدادي وهو أحد اعظم أئمة التصوف الاسلامي واحد المؤسسين للمنهج الصوفي السني المعتدل الذي جمع بين العلم وبالشريعة والتجربة الروحية ولد في بغداد سنه (٢١٠هـ)، توفي في سنه (٢٩٧هـ) ولقب سيد الطائفية الصوفية واصله ونهاوند ونسب الى بغداد لأنه نشأ وتعلم فيها. الهجويري، ١٩٦٦، ص١٣٠ ١٣٥؛ الخطيب البغدادي، د.ت، جـ٧ص٢٤٢ – ٢٤٦ ؛ الذهبي، د.ت، جـ١٤، ص٦٦–٦٧) والحارث المحاسبي(الحارث المحاسبي: أبو عبدالله الحارث بن اسد بن عبد الله المحاسبي البصري البغدادي سمي بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه ومراقبة لأعماله وهو من أوائل من جعل محاسبته النفس مبدأ صوفياً اصيلاً ويعد من أئمة الزهاد والعلماء الروحيين في الإسلام ولد في البصرة سنة (١٥٦هـ) توفي في بغداد سنة (٢٤٣هـ)،وكان من أعيان العلماء والزهاد في عصره جمع بين علم الحديث والفقه الكلام والتصوف. السلمي، ١٩٧٥، ص١٤٠–١٥٣ ؛ الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ١٠، ص٧٥ –٩٩ ، ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٤ ، ص١١٠ وما بعدها)، وغيرهم وعلى هذا الاساس فأن اثره لم يكن مقتصراً على اقواله بل تعدى ذلك ترسيخ المنهج السلوكي التربوي في التصوف الاسلامي الذي يقوم على التخلية من الصفات الدنيوية والتحلية بالصفات الإلهية والسير في مراتب التوبة ، والتوكل والرضا.

سادساً: رحله شقيق البلخي في صياغة شخصية الروحية

ارتحل شقيق البلخي إلى مناطق خارج مدينه بلخ وخاصتاً ((خراسان، العراق، بلاد الشام)) حيث التقي بعدد من الزهاد والعباد الذين كان لهم تأثير كبير في صياغة شخصية الروحية وساهموا في بلورة منهجه في الزهد والتوكل والتصوف السني وكان من ابرز من التقي بهم او تأثير بهم بحسب ماورد في كتب التراجم والتصوف.

١- في بلاد خراسان:

ابراهيم بن أدهم (ت: ١٦٠هـ)

يعتبر إبراهيم بن ادهم أبرز من تأثر به شقيق البلخي ويعد شيخة الأول في الزهد حيث كان من ملوك مدينه بلخ ثم ترك الملك وتجرد لعباده الله حيث تعلم منه شقيق البلخي حقيقه الزهد والتوكل وترك التعلق بالدنيا وقال عنه شقيق البلخي ((تعلمت التوكل من ابراهيم بن ادهم فما رأيت مثله في التوكل، والصدق))(ابن عساكر، د.ت، جـ٦، ص٢٤ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٢، ص٢٧٢).

رحلته إلى العراق:

أ- مالك بن دينار:

وهو أبو يحيى بن عامر الساحي (ت: ١٣١هـ / ٧٤٨م) رغم انه قضى حياته في البصرة إلا انه أثره بالغ في خراسان وان شقيق البلخي لم يلتقى مباشره به لكن تأثيره بكلامه وأقواله ومنها "ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب" ويعتبر من أوائل الزهاد الذين تكلموا عن البكاء خشية الله والزهد العميق(الاصفهاني، ١٩٨٨م، جـ٢، ص٣٥٨ وما بعدها ؛ السلمي، ١٩٧٥م، ص١٠-١٥ ؛ القشيري، د.ت، جـ١، ص٢٦-٢٧ ؛ ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٣ ، ص٢١٤).

ب- الحسن البصري:

هو الحسن بن ابي الحسن البصري (ت: ١٨٠هـ ٧٢٨م)، رغم ان شقيق ولد بعد وفاته الا ان الحسن البصري كان له اثر قوي في المدرسة الزهدية التي نشأ فيها شقيق البلخي ومن خلال تلاميذ الحسن البصري خاصتاً في البصرة انتقل هذا الأثر الا مدينة بلخ التابعة لخراسان. التي تأثر بها شقيق البلخي حيث كان منهج الحسن البصري الصوفي يدعوا الى الخوف من الله والورع عن الدنيا. وكذلك الزهد في المال والمنصب والاعتزال عن الفتن السياسية وتأكيده على التوبة والاعتماد على العمل لا النسب والجمع بين العلم والعمل والعبادة وقد علم تلاميذه الزهد القائم على الخوف من الله ومحاسبة النفس وانه شقيق البلخي اخذ الزهد عن إبراهيم بن ادهم فصار امتداداً مباشراً لمدرسة الحسن البصري حين جعل الحسن البصري الزهد وسيلة لتطهير القلب لا رافضاً للحياة(الأصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٢، ص١٣٤ ؛ ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٣ ، ص٢٥٣) حيث تبيناه شقيق البلخي وقال (التوكل ان تثق بالله في كل

شي)(السلمي، ١٩٧٥م، ص٤٢ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٨، ص٣٧٦) كما ان الخوف والرجاء الذي عمل به شقيق البلخي هذا المبدأ في مدرسته الزهدية بخراسان فكان يربي تلاميذه على الخوف من الغرور بالعمل والرجاء برحمة الله(السلمي، ١٩٧٥، ٣٧ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٧ ، ص٣٨٧ ؛ بدوي، ١٩٧٨، ص٤٣–٥٢).

ج– رابعة العدوية

وهي رابعه بنت إسماعيل العدوي البصرية (ت١٣٥هـ / ٧٥٢م)(الأصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ص١٣١وما بعدها، السبكي، د.ت، ص٣١–٣٣)، التي تعتبر رائده الزهد القلبي والمحبة الخالصة لله حيث تأثر بها شقيق البلخي وبأفكارها الزهدية خاصتاً في جانب الاخلاص في المحبة وتنسب رابعه العدوية إلى المدرسة الزهدية البصرية بعد الحسن البصري ومالك بن دينار وهي اول من جعلت المحبة الإلهية اساس العبادة والزهد في الاسلام ومن اقوالها (اللهم ان كنت اعبدك خوفاً في نارك فأحرقني بها وان كنت اعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها وان كنت اعبدك حيا لك فلا تحرمني من رويتك)(ابن الجوزي، ١٩٨٨، جـ٤، ص٥٤) حيث جعلت العبادة الهدف إلى وجه الله وحده لا رجاء الثواب أو خوف العقاب ولم ترفض الدنيا بل تخلت عن كل شي ما يشغل القلب عن الله وجعلت الزهد حاله روحيه قائمه على الحب والمعرفة مما أثرت بشكل واضح على شقيق البلخي الذي جعل الاخلاص تصفيه العمل من ملاحظة الخلق حيث كان كيليها جعل الإخلاص هو جوهر العبادة دون انتظار جزاء دنيوي او اخروي كما قال شقيق البلخي (الزهد ترك ما يشغل عن الله وان كان حلالاً)(القشيري، د.ت، ص ٤٥).

د. القاضي ابو يوسف:

وهو القاضي أبي يوسف بن ابراهيم الانصاري (ت ١٨٣هـ/ ٨٠٠م)(ابن خلكان، ١٩٦٨م، جـ٦ص٢٥٢ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٨، ص٥٣٥) ذكرت بعض المصادر ان بينها لقاء وصحبه ومناقشه فكان ابو يوسف يعجبه كلامه في التوكل والزهد وكان يقول ما رأيت احد ازهد من شقيق البلخي (الأصبهاني، ١٩٨٨م، ج٨/ ص٦٢–٦٣ ، السلمي، ١٩٧٥م، ص٤٣ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٨، ص٣٧٥)، وهذه الرواية اقدم نص يشير إلى لقائهما ويعد أيضاً انهما تحاورا في مسائل الزهد والتوكل ويوكد ايضاً في رواية الاصبهاني في كتابة حليه الاولياء وكان شقيق البلخي قد اجتمع بأبي يوسف القاضي وكان ابو يوسف القاضي يجله لجده في الدين وقال "ما رأيت رجلا ازهد منه". كما ذكر أيضاً "دخل شقيق البلخي على القاضي ابو يوسف فقال له ابو يوسف من اين أقبلت قال من بلخ فقال له ما الذي احدثتم في بلدكم قال قوم امنوا بالله حق ايمانه(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ ٨، ص٦٢–٦٣) وعملوا له حق عمله فقال ابو يوسف وهل في الناس احد كذلك قال شقيق البلخي نعم ففينا لو قطع بالحديد لم يرجع عن يقينه بالله فبكي ابو يوسف وقال زدني ايماناً يا شقيق، وفي رواية السلمي التي تدعم هذه الروايات الى تقدير أبي

يوسف لشقيق البلخي اما الذهبي في كتابه سير الاعلام النبلاء ان شقيق البلخي لقي جماعه من أهل العلم والورع منهم ابو يوسف وكان بينها مذاكرة في التوكل حيث ان الذهبي نقلها بتعبير احترازي مما يدل على عدم القطع بالقاء لكنه رجح صحه من جهة لمعاصره حيث كلامهما عاش في القرن الثاني الهجري حيث توفي أبو يوسف (١٨٢هـ / ٧٦٦م) وشقيق البلخي بعده بقراءة ١٢ سنة (١٩٤هـ / ٨١٠م)(السلمي، ١٩٧٥م، ص٤٣) ، ومن الاقوال التي ذكر في المحاورة بين أبو يوسف وشقيق البلخي ((قال التوكل ان لا تسأل احد غير الله) فقال ابو يوسف "يل التوكل ان تثق بالله وتسعى فيما أمرك الله به من الأسباب" فقال شقيق البلخي "صدقت هذا توكل العلماء"(الذهبي، د.ت، جـ٨، ص٣٧٥).

هـ – أبو حنيفة النعمان

وهو الإمام ابي حنيفة النعمان (ت: ١٨١هـ / ٧٩٨م) حيث ان شقيق البلخي اثناء رحلته إلى العراق كان يحضر مجالس الإمام أبو حنيفة وهذا ما اكده السلمي في كتاب طبقات الصوفية حيث ذكر ان شقيق بن ابراهيم البلخي كان يحضر مجالس ابي حنيفة وسمع من الثوري وكان من المشهورين بالزهد"(السلمي، ١٩٧٥، ص٦١) ، أما القشري ذكر الشقيق البلخي من كبار الزهاد بخراسان صحب الثوري وانتفع بعلم اهل العراق وكان يحضر مجالس الفقه في بدايته)(القشيري، د.ت، جـ ١، ص ٤٣–٤٤)، اما الذهبي فقد ورد نص يقول فيه" ان شقيق بن ابراهيم البلخي الامام الزاهد ادرك طبقة سفيان الثوري وحضر مجالس اهل العراق(الذهبي، د.ت، جـ ٨ ، ص٣٦٦) ، فكل في القشيري والذهبي لا يذكر ان شقيق البلخي حضر مجلس أبا حنيفة بالنص الصريح ولاكن يحدد مشاركته في حلقات العلماء في العراق واذا أبا حنيفة توفي سنة (١٨١هـ/٧٩٨م) وشقيق البلخي توفي سنه (١٩٤هـ / ٨١٠م) وهي مقاربة بين وفاتهما وهذا يدل على وجود وحضور شقيق البلخي مجالس أبا حنيفة وهذا ما أكده السلمي في كتابه طبقات الصوفية.

و– عبد الله بن المبارك

وهو أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي ولد سنة (١١٨هـ / ٧٣٦م) وتوفي سنة (١٨١/ ٧٩٨م) وهو أحد ائمة الاسلام الكبار في القرن الثاني الهجري جمع بين العلم والحديث والفقه والزهد والجهاد(ابن سعد، د.ت، جـ٧، ص٣٨٧ وما بعدها ؛ ابن أبي حاتم، ١٩٥٢م، جـ٥ ، ص١٣٦ وما بعده ؛ ابن حجر، ١٩٩٣م، جـ ٥، ص٣٢٧، وما بعدها)، وقد أثر سفي كبار الزهاد مثل شقيق البلخي وذكر السلمي الا ان شقيق البلخي كان يجالس عبدالله بن المبارك وخرج معه في الغزو اما الهجويري يذكر "وكان شقيق البلخي من اصحاب عبد الله بن المبارك وله معه اخبار في الزهد" وهناك نص اخر يتذكره ابن الجوزي (وكان شقيق يصحب عبدالله بن المبارك ويذكر عنهما كلام في التوكل والزهد".

سابعاً: تعاليم شقيق البلخي الصوفية، ومنزلته الروحية.

يعد شقيق البلخي من الجيل الثاني الذي نقل الزهد من حاله فردية إلى مدرسة فكرية. روحيه حيث سبقه ابراهيم بن ادهم لكنه ساهم في بلوره مفاهيم الزهد السلوكي والنية بشكل منظم، ولم يكن شقيق البلخي متصوفاً فقط بل كان فقيها حنفياً ولذلك حافظ على ميزان التوازن بين الظاهر والباطن وهذه المنزلة جعلته مرجعاً يحتدي به في التصوف السني حيث ذكرته المصاد(الأصبهاني، ١٩٨٨، جـ ٨ ص ٦١ ؛ القشيري، د.ت، ص ٥٧ ؛ السلمي، ١٩٧٥م، ٦٤ ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٢، ص١٥٣ ، د.ت، جـ٩، ص٣١٠) ، "انه من اعلام الامة في الزهد" وكان شقيق البلخي اذا ذكر الله خشع قلبه وإذا ذكرت الدنيا انصرف عنها وإذا ذكرت الأخرى يبكي شوقاً وقوفاً.

وعن تعاليم شقيق البلخي الصوفية ومنزلة الروحية باعتباره أحد ابرز رواد التصوف الزهدي المبكر في الإسلام الذي أسسوا لبن التصوف السني الأخلاقي قبل تطور التصوف الفسلفي لاحقاً(السلمي، ١٩٧٥م، جـ ٦١ ؛ البيهقي ، د ت، ص١٤٢).

١– الزهد "ترك الدنيا"

الزهد عند شقيق البلخي لا يعني ترك المال او العمل بل ترك محبه المال والتعلق بالأخرة وقال " الزهد من رأى الدنيا قال انا لله وان رأى الآخرة قال الحمد لله"(بولس نويا، ١٩٨٦م، ص٢١)، وكذلك يعتبره شقيق البلخي مبتدأ الدخول في أدب النفس بقطع الشهوات من الطعام والشراب الاعلى القوت الكافي. حتى يصير الجوع هو الشعار الأول لهذه المرحلة.

وإذا قلنا ما الحكمة من الجوع هنا، فسنجد الإجابة واضحة في هذه الرسالة حتى ينشغل الانسان في هذه المرحلة عن التطلع الى الفضول والشهوات وغير ذلك.

من الصفات المذمومة. وينشغل بجوعة عن غيره فالجوع هنا وسيلة وليس غايه وينتقل بعد ذلك من الجوع الى الصوم حتى يشجعه الصيام على التسبيح وقراءة القرآن مما يساعده على الترقي الروحي فاذا علم الله منه صدق النيه اخرج من قلبه حب الدنيا واد مكانها الآخرة "نور الزهد" ويدخل هذا النور الى الظلمة تدريجاً فيحل محله الظلمة بشكل تدريجي فيدخل مكانها النور حتى لايبق من الظلمة شيئاً فيتمكن نور الزهد من القلب بأكمله(بولس نويا، ١٩٨٦، ص٢٢).

٢– التوكل على الله:

يعتبر التوكل على الله من أبرز تعاليمه وأعمقها عند شقيق البلخي، وقد استشهد بالآيات القرآنية التي تحدثت عن التوكل بقوله تعالى "**وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**"(المائدة، ٢٣) وقوله تعالى "**وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ**"(التوبة، ٥١) ، وقوله تعالى "**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ**"(ال عمران، ١٥٩)، وبهذا اصبح القرآن الكريم المصدر الأول لشقيق البلخي في التوكل، كما انه يرى التوكل لا يعني ترك

السعي بل الاعتماد القلبي على الله وحده وفي قول شقيق البلخي" من توكل على الله كفاه. ومن توكل على ماله أفقره. ومن توكل على سلطانه أذله"(السلمي، ١٩٧٥م، جـ٦ ؛ القشيري، د.ت، جـ ١، ص ٥٨ (باب التوكل) ؛ الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ ٨ ، ص ٥٨ –٥٩ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٨ ص٣٦٨)، وكذلك يربط شقيق البلخي بين التوكل والايمان بقوله "ومن لم يتوكل على الله يصير خارجا من الايمان"(السلمي، ١٩٧٥م، ص٦١ ؛ الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ ٨ ، ص٥٨ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٨، ص٣٦٩)، وبعد ذلك يعرف التوكل قائلاً (التوكل ان يطمئن قلبك بموعود الله)(السلمي، ١٩٧٥م، ص٦١ ؛ القشيري، د.ت، ص ٥٧– ٥٨ ؛ الذهبي، د.ت، جـ٨ ص٣٩٩)، ويقسم التوكل عدة درجات هي" التوكل على المال التوكل على النفس التوكل على الناس وهذا هو التوكل الزائف لينتقل إلى التوكل الحقيقي وهو التوكل على الله.

وتفسير التوكل على المال ان نقول، مادام هذا المال في يدي فلا احتاج الى أحد وهذا يفسر التوكل على الناس وتفسير التوكل على الله، ان تعرف ان الله تعالى خلقك وهو الذي ضمن رزقك وتكفل برزقك ولم يحوجك "(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨ ص٦١).

ونجد ان شقيق البلخي يقسم مباشرةً مقصود لمصطلح من المصطلحات التي تدخل ضمن اطار رحلة المقامات والاحوال الصوفية فهل كان شقيق البلخي مدرك للمعنى اما جاء بمحض الصدفة، ويبدوا لي انه كان يدك ذلك حيث لم يكتف بتقسيم التوكل حسب الدرجات السابقة فقط بل كما سبق وان رأينا ارتباط التوكل بالمعرفة من ناحية وادخال التوكل ضمن منظومه مكونه من (التوحيد والاخلاص والتوكل والرضا من ناحية أخرى).

٢– محاسبة النفس:

يعد شقيق البلخي من أسسوا مبدأ محاسبة النفس في الفكر الصوفي وكان يقول(احذر نفسك مما أوقع الناس في البلاء مثل انفسهم) ويقصد شقيق البلخي بقوله هذا ان البلاء الذي يقع فيه الناس في دنياهم ودينهم انما سببه النفس، فهي مصدر الغفلة والهوى والطمع والعجب لذلك يحذر السالك الى الله ان يترك نفسه دون مراقبه ومحاسبه فكان يقول(احذر نفسك قبل ان تحذر عدوك فإن البلاء الاكبر انما ياتي منها)(القول منسوب الى ذنون المصري وهو في كبار الزهاد والتصوف في القرن الثالث الهجري وهو أول من تكلم عن الزهد ومحاسبة النفس والتصوف (ت٢٤٥هـ) وهو مصري من صعيد مصر وهو ثوبان بن إبراهيم الملقب ذو النون المصري. الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٩ ص٣٦٤–٣٧٠ الهمداني، ت.د.،)، حيث ان شقيق البلخي من أوائل من أسسو المدرسة المحاسبة والمراقبة في الزهد بخراسان وكان يرى ان (من لم يحاسب نفسه في كل شي فهو في غفله عن ربه)، ومحاسبه النفس عنده هي تفقد ثباتها وأعمالها ووزنها بميزان الشرع والاخلاص. ومعاقبيها اذا مالت إلى الشهرة أو الرياء أو الغفلة من

هذا المنطلق جاء قوله (احذر نفسك مما اوقع الناس في البلاء)(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ ٩ ص٣٦٤) ، اي ان اصل البلاء هو ترك المحاسبة والمراقبة للنفس كما وردت له اقوال اخرى تؤكد المعنى ومنها "من عرف نفسه اشتغل بأصلاحها عن عيوب الناس"(ابن الجوزي، ١٩٧٣م، ص٥٧)، وكذلك (اهلاك كله في النفس والنجاة في مخالفتها) (التوكل ترك تدبير النفس)(القشيري، د.ت، ؛ الذهبي، د.ت، جـ١٢، ص٣٣)، وهذه الاقوال تظهر ان البلاء عنده ليس خارجياً فقط (كالفقر والمرض)، بل هو داخلي روحي يمثل في اتباع الهوى والغفلة عن الله.

٣- اخلاص النية:

الاخلاص والنية من ابرز الجوانب التي ركز عليها شقيق البلخي حيث تناول تزكية النفس والزهد والتصوف العلمي في اقليم خراسان. وقد جعل الاخلاص اساس لكل عمل عبادي او زهد. كما شدد شقيق البلخي على ضرورة الاخلاص التام في الاعمال والبعد عن الرياء وكانت له اقوال في الاخلاص والنيه ومنها (الناس يعملون لاجل الحق ونحن نعمل لاجل الاخلاص كما ذكر أيضاً (الاخلاص تصفه العمل من كل شوب)(السلمي، ١٩١٠م، ص٤٢).

وقال ايضاً: (من عمل عملاً يريد به وجه الله اقبل الله عليه بوجهه. ومن اراد به الناس وكله الله اليهم)(السلمي، ٢٠٠٢م، ص٩٤) وقال (النية ميزان العمل فمن صحة نية صح عمله ومن فسدت نيته فسد عمله)(القشيري، د.ت، ج١، ص ٥٨) وله قول اخر (من اخلص في عمله الله تعالى رزقه الله حلاوة في قلبه لايجدها غيره)(البيهقي، د.ت، ص٢٧٨) ويرى شقيق البلخي من هذه الاقوال ان الاخلاص هو اساس قبول العمل والنيه هي المعيار الحقيقي للعباد حيث ان العابد الزاهد لا يكون مخلصاً حتى يستوي عنده مدح الناس وذمهم .كما ان الاخلاص مرتبط بمقام المراقبة والتوكل فلا يخلص الامن ازال الرياء والخوف من الخلق.

٤- الخوف من الله والرجاء فيه

كان شقيق البلخي يوازن بين الخوف والرجاء ويحث على الخشية من الله دون اليأس كما قال (من خاف الله اخاف الله منه كل شي ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شي)(الغزالي، د.ت، جـ٤ ، ص١٦٠ ؛ البيهني، د.ت، جـ٢ ص٤٦٠ ؛ الذهبي، د.ت، جـ ٨/ص ٣٦٦) وكان شقيق البلخي يقرن الزهد بالخوف لان الزهد لا يكون إلا بالخوف من الله فوقتها يتذكر الموت ويلزم الخشية والحذر من الله لانه يراه فيبقى على ذلك الا ان يلقي الله في قلبه نور الخوف وبالطبع يزداد هذا النور في القلب بشكل تدريجي من غير ان ينقص شيئاً من نور الزهد فان شاء الله ابقاه على ذلك حتى الممات وان شاء نقله الى منزلة اخرى هي منزله الشوق الى الجنة(بولس نويا، ١٩٨٦م، ص ٢١- ٢٢).

٥-المحبة لله:

يرى شقيق البلخي انه لا يصل الى هذه المنزلة كثير من الناس فكثير من الناس قد اجتازوا منزله الزهد والخوف والشوق الى الجنة الا ان قله قليله من هؤلاء هم الذين نزلوا منزلة المحبة لانها فيما يرى ارفع المنازل واشرقها وأبهاها ويتطلب بداية الدخول في هذه المنزلة من المرء ان يقوي قلبه. عليها باليقين الصادق وان يلهم قلبه ما احب الله في كل شي الا ان لا يصير شي احب اليه من الله ورضاه، فان قوى الانسان على ذلك نظر الله اليه والقى في قلبه نور المحبة من غير ان ينقص من قلبه من (نور الزهد، نور الخوف، نور الشوق، إلى الجنة)(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ص٥٩. البيهقي، د.ت، جـ١، ص٥١٢ وما بعدها) الى ان يقول شقيق البلخي (فكذلك نور المحبة لله اقوى الانوار وأعلاها وبالتالي نهاية الرحلة عند شقيق البلخي لا بالمحبة ولكن بها اسماه نور المحبة لله)(القشيري، د.ت، جـ٤ ، ص١٦٠).

كما ان منزلة المحبة عند شقيق البلخي تعد من ارقي المقامات القلبية في طريق السلوك إلى الله تعالى وهي من المقامات التي تأثر فيها بمدرسة رابعة العدوية التي جعلت المحبة لله جوهر العبادة وغايتها. وقد تناول شقيق البلخي هذا المعنى في أقواله وافعاله التي نقلها الزهاد والمحدثون بعده.

ويرى شقيق البلخي ان المحبة لله هي ثمرة المعرفة واليقين وان من احب الله صدقاً ترك محبه الدنيا وما سواها فالمحبه عنده تتجاوز الخوف والرجاء لانها تدفع العبد الى طاعة الله لا طمعاً في حبه ولا خوفاً من نار شوقاً إلى لقائه ورضاه وفي اقواله في المحبه (علامه محبه الله محبه ذكره. وعلامة يغض الله بعض ذكره)(الاصفهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ص٥٩)، ويقصد بها شقيق البلخي ان من محبه الله أكثر من ذكره لان القلب لا يلهج الا يذكره، محبوبه.

وقال أيضاً (من أحب الله عز وجل. لم يكن له انس بغيره) (البيهقي، د.ت، جـ١، ص٥١٥)، وهذا يعني ان من امتلا قلبه بمحبه الله زهد في كل ما سواه فلا يأنس الا بخلوه فيها ذكره وقال ايضاً في المحبة (المحب لله لا يسكن قلبه حب الدنيا كما لا يسكن الماء في النار)(القشيري، د.ت،)، والمعنى ان محبه الله والدنيا لا يجتمعان في قلب واحد فكلما زادت احداهما ضعفت الاخرى ويبدوا ان شقيق البلخي تأثر في مفهوم المحبة الخالصة لله بما شاع في عصره من تعاليم رابعة العدوية التي كانت تقول (ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً في حنته ولكن حباً له لانه اهل للعبادة)(الأصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ٥٩- ٦١) ، وقد سار شقيق البلخي على هذا المعنى فجعل الاخلاص في المحبة اساس العمل الصوفي والزهد الحقيقي. وقد اسند شقيق البلخي الى الآية القرانية (يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)(سورة المائدة، ٥٤).

٦ –التوحيد والاخلاص:

التوحيد هو اساس العقائد الإيمانية وراس سنام الدعوة الإسلامية التي تتفرع بقيه الأصول الاعتقاد الواجب الايمان بها على كل مسلم ومسلمة. فكثير ما تجد العديد من الكتابات عن التوحيد مثل (توحيد الذات. توحيد الصفات، توحيد الافعال) أما حينما نتجه إلى الصوفية فقد نجد ايضاً ما يوازي المصطلحات الكلامية السابقة مثل (توحيد الحق للحق توحيد الخلق للحق، توحيد العامة توحيد الذوقي ، توحيد الخاصة)(الاصفهاني، ١٩٨٨م، جـ ٨ص٣٦ وما بعدها)، وإن شقيق البلخي لا يدخل نفسه ضمن هذه المجادلات الكلامية حول مفهوم التوحيد الا انه فيما يبدوا قد فرق بين التوحيد باللسان والتوحيد بالقلب ليس هذا فحسب بل يقوم يعمل ترابط وثيق بين مصطلح (التوحيد) ومصطلح (الاخلاص) وكانه يريد ان يقول ان الاخلاص علامه و دليل واثبات وجود التوحيد، كما ربط بشكل وثيق بين التوحيد الاخلاص ويربط بنفس الشكل بين الاخلاص والتوكل فاذا صرت مخلصا بهذا القول عاملا له انه لا اله إلا هو فليكن هو اوثق عندك من الدينار والدهم وباقي البشر(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ ٨، ص٦٠ – ٦٣) كما يرى شقيق البلخي ان التوحيد والاخلاص من اعمدة طريقة الزهدية اذ يرى فيها اساس السير الى الله وشروط القبول في الاعمال. وان التوحيد عن شقيق البلخي ليس مجرد قول اللسان بل هو تحقيق العبودية لله في القلب والنية والعمل في قوله (توحيد ان لا يرى مع الله غير الله)(السلمي، ١٩٧٥م، ص٤٥ –٤٦)، اي ان لا يعتمد القلب على الأسباب ولا يلتفت إلى المخلوقين في جلب نفع او دفع ضر بل يفوض الأمر كله إلى الله وحده وقول اخر(من عرف الله لم يشهد مع الله سواة)(البيهقي، د.ت، ص١٢٣) فهو يجعل المعرفة بالله ثمره التوحيد ويربطها بصفاء القلب من التعلق بالدنيا والناس.

والتوحيد عنده توحيد حال ووجدان لا توحيد جدل وبرهان اي التوحيد يعيش في القلب لا في المنطق والكلام. وقد تأثر في هذا الاتجاه بشيخه ابراهيم بن ادهم بالمدرسة الزهدية الخراسانية المتأثرة بالحسن البصري. كما ان الاخلاص عند شقيق البلخي هو تصفيه العمل من ملاحظة الخلق فلا يعمل العبد لثناء الناس او خوفهم بل ابتغاء وجه الله وحده.

والاخلاص ان يكون سكونك وحركتك لله وحده وفي روايه عنه (المخلص من كتم حسناته كما يكتم سيئاته)(القشيري، د.ت، ص٩٢–٩٤)، كما قال ايضاً (الاخلاص تصفية العمل مع ملاحظة المخلوقين)، اي ان لا يشوب نيتك رغبه من مدح أو منزله، والعلاقة بين التوحيد والاخلاص فالتوحيد هو معرفه الله وحدانيته، والاخلاص هو ثمره هذه المعرفة في العمل. فمن وحد الله حقاً اخلص له نيه وعملاً فلا يرى الوجود الا الله ولا يقصد الاوجه وكان شقيق البلخي يقول (من خلص توحيده اخلص في عمله)(الذهبي، د.ت، جـ ٨، ص٣٦٣).

٧- المجاهدة وترك النفس

يرى شقيق البلخي المجاهدة وترك النفس من اهم ما تميزت به طريقته الزهدية اذ جعل مجاهدة النفس اصل الطريق الى الله وعد تركها وتدبيرها هو لب المجاهدة كما ان شقيق البلخي يرى أن النفس هي العدو الأول للسالك الى الله وان كل بلاء يقع فيه العبد سببه اتباع هوى النفس وقد استند إلى قوله تعالى (وما أبرى نفسي ان النفس لإمارة بالسوء الا ما رحم ربي)(يوسف، ٥٣) والنفس الإمارة بالسوء هي النفس التي تامر صاحبها بالمعاصي والشهوات وتعتبر النفس العدو الأول للإنسان وقد تكون سبباً في الوقوع في الشرور والخطيئات اذا استسلم لها الأنسان والنجاة منها تكون برحمه الله ويتطلب ذلك مجاهدة النفس في وجه شهواتها. وقول شقيق البلخي في مجاهدة النفس (حمل النفس على ما تكره في طاعة الله. ومنعها عما تحب في معصيه الله)(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ص٦٠)، فهيه رياضه قلبيه وعقليه غايتها تطهير القلب في الاهواء حتى تصفوا لمعرفة الله ومحبيه.

وهي النفس الموحدة فبلغت من كمال الايمان ولطائف الاحسان ما جعلها ترتقي في مدارج العرفان فاطمأنت بوعد الله ورغبت فيما عنده دون سواه وفي قوله تعالى (يايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضيه)(الفجر، ٢٧-٢٨)، كما ان شقيق البلخي حذر الانسان في نفسه باعتبارها عدو له وقوله (احذر نفسك قبل ان تحذر عدوك فإن نفسك عدو بين جنبيك)(الاصبهاني، ١٩٨٨م، جـ٨، ص٦٠)، وكان يقصد ان النفس قد تكون اخطر من العدو الظاهر لانها ترافق الإنسان دائماً و توسوس له بالشر فيجب ان يبدأ مجاهدتها بنفسه قبل كل شي كما قال(من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها من عيوب الناس)(الهمداني، د.ت، جـ١،ص٢١٤ ؛ ابن الجوزية، د.ت، جـ ٤، ص٣٨)، والمعنى أن معرفة النفس والاشتغال بمحاسبتها هو طريق مجاهدة النفس والاشتغال بمحاسبتها هو طريق الصادقين لانه من عرف عيوب نفسه ترك الانشغال بعيوب غيره.

وقوله أيضاً (التوكل هو ترك النفس والاستسلام لله تعالى(الاصبهاني ١٩٨٨م، جـ٨، ص٦١)، وهنا يقصد ان تمام المجاهدة ان يسلم العبد أمره الله فلا يتدبر لنفسه شيئا بل يرضى بما قدره الله له وان ترك لنفس عند شقيق البلخي هو ترك النفس نتجه المجاهدة الصادقة في مجاهدة نفسه زهد في الدنيا. ومن ترك نفسه لله نال راحة القلب ونور المعرفة ويروي البيهقي حديث في مجاهدة النفس (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر)(البيهقي، د.ت، ص ١٦٥. وهذا الحديث الذي يرويه البيهقي بإسناد ضعيف الا انه ذكر من باب الزهد وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني هو كلام إبراهيم بن ابي عبله وليس بحديث منسوب الى النبي محمد(ص).العجلوني، د.ت ، ص٦٦ رقم الحديث ١٣٦٢ ؛ وقال عنه ابن تيميه أما الحديث الذي يرويه بعضهم ان قال في غزوة تبوك فلا اصل له ولم يرويه احد في اهل المعرفة بأقوال النبي محمد (ص) وافعاله ابن تيمية، د.ت ، جـ١١، ص١٩٧)، كما يرى شقيق البلخي إن

الطريق والقرب الى الله لا يكون الا يجهد النفس وشهواتها وهذا اساس السلوك. الصوفي في القرن الثاني الهجري كما انه يرى يجب معرفه عدو الله وعدو النفس ان تعلم ان لك عدوا لا يقبل منك شيئاً الا بالمحاربة والمحاربة في القلب ان تكون محارباً مجاهداً متعباً للعدو وكذلك ان تعرف ان نفسك لا تنفع ولا تضر (الاصفهاني ،١٩٨٨م، جـ٨، ص٦٠).

رابعاً – مروريات وروايات المنقولة عن شقيق البلخي

١– الزهد:

رويه عن شقيق البلخي في كتب التراجم وطبقات الصوفية عشرة ابواب في الزهد يسمى الرجل فيها زاهداً إذا فعلها فإذا خالفها سمي متزهداً وفيها بيان صفات الزاهد الحقيقي والفرق بين المتزهد والزاهد(الهمداني، د.ت، جـ١، ص٢١٤)، وهي (رؤيته–خشوعه– قوله مدخله – مخرجه – مطعمه – ملبسه–مركبه –وحرصه– وفعله الذي يثنيه بالزهاد في روايته وسمعه و خشوعه ومطعمه وملبسه– ومركبه–وفعله وحرصه وحب الدنيا يشهد عليه بخلافه وترى رضاة رضا الراغبين وبساطه في علامه وعجله بساط الراغبين وحسده ويغيه وتطاوله وكبره وفخره وسوء مقاله وجفا لسانه وطول خوض فيما لايعنيه يدل على نفاق المنزهد لاعلى خشوعه الزاهد فإحذر من هذه الصفه واذا وجدت فيمن يزعم انه زاهد هذه الخصال التي اصفها لك خارج له ان يكون في بعض طريق الزهاد(الهمداني، د.ت، جـ١، ص٢١٤).

٢– خصال تدخلك الجنة:

قال شقيق البلخي "من عمل ثلاث خصال اعطاه الله الجنة أولها معرفة الله عز وجل بقلبه ولسانه وسمعه وجميع جوارحه، والثانية أن يكون بما في يد الله اوثق مافي يديه، والثالثه يرضى بما قسم الله له وهو مستيقن أن الله تعالى مطلع عليه وهيه ان المعرفة والثقة، والرضا من خصال الزهد(الهمداني، د.ت، جـ١، ص٢١٤).

٣– موقفه من الترك الوثنين يوم القتال

يذكر ابي نعيم الاصبهاني انه اقترب مع شقيق البلخي يوم القتال ضد قبائل الترك الوثنين وكان المنظر مروعاً أرى رؤوس تتناثر ورماح وسيوف.....قال شقيق البلخي لحاتم الاصم، كيف ترى نفسك يا حاتم تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت اليك عروسك(القشيري، د.ت، ص٤٥ ؛ الاصبهاني،١٩٨٨م، جـ ٨، ص ٦٨–٦٩).

٤– خطر التعلق بالاغنياء

قال شقيق البلخي" اتقي الاغنياء فانك متى ماعقدت قلبك معهم وطمعت منهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله عز وجل (القشيري، د.ت، جـ٢٩ ؛ الاصبهاني، ١٩٨٨م، ج٨، ص٧٠).

سادساً- مكانة شقيق البلخي وتأثيره في التصوف الإسلامي داخل خراسان

مكانه شفيق البلخي وتأثيره في التصوف الاسلامي داخل خرسان تعد من الاكثر الاهمية في المرحلة التأسيسية التصوف فهو من اوائل المتصوفة في العالم الإسلامي الشرقي ومن أوائل من نظروا المفاهيم التوكل والزهد كنهج روحي عملي وذلك ضمن البيئه الخرسانية التي كانت حاضنته للفكر، والعلم، والتصوف.

١- من رواد الزهد والتصوف الاوائل

وهو سابق على الجنيد البغدادي حيث يعد المؤرخون الأول من طورا الزهد الداخلي بالمعرفة بالله وليس فقط بترك الدنيا، يعد شقيق البلخي من الجيل الثاني في الزهاد بعد الحسن البصري او ابراهيم بن ادهم بالمعرفة بالله وليس فقط يترك الدنيا (القشيري، د.ت، ص٩١ ؛ ابن الجوزي، ١٩٨٦م، جـ٤، ص١٦٣-١٦٥ ؛ بدوي، ١٩٧٨، ص٦٧-٦٩).

٢- التأثير الفقهي الصوفي

رغم تصوفه، لم يكن معارضاً للعلم أو الشريعة بل دعا الى طلب العلم للوجه الصادق

وكان منهجه متزناً يجنب الافراط او الغلو مما جعله مقبولاً عند العلماء والمتصوفة معاً.

٣- تأثير على الجيل اللاحق (السليمي، ١٩٧٥م، ج٣٨/ ص٤٠ ؛ الذهبي، د.ت، ج٩٥، ص٣١٣).

من أبرز تلاميذه حاتم الاصم وهو في أشهر متصوفة خراسان ونقل الكثير من اقوال شقيق البلخي حيث اصبح شقيق البلخي نموذجاً صوفياً خراسانياً لمن جاء بعده يجمع بين الزهد والتوكل والعلم(الأصبهاني، ١٩٨٨م، ج ٨/ ص٢٦٣ ؛ ابن الجوزي، ١٩٨٦، ج٤، ص١٦).

٤- تأسيس مدرسه روحيه خراسانية

لم يؤسس طريقة صوفيه بالمعنى التنظيمي لكنه أسس مدرسه فكريه روحيه اثرت على طرق لاحقه كما انها اثرت طريق الزهد والتوكل على التصوف في بلاد خراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد فارس(بدوي، ١٩٧٨م، ص ٦٨-٧٠).

المصادر والمراجع:

١- ابن الأثير: عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت/٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق (بيروت/١٩٨٥م).
٢- البيهقي : أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن عبدالله الخراساني (ت/٤٥٨هـ)
- الزهد الكبير، تحقيق ، عامر احمد حيدر (بيروت/د.ت).
- شعب الايمان، محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكب العلمية (بيروت : د.ت).
٣- ابن تيميه : تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الخزاني الدمشقي (ت/٧٢٨هـ مجموع الفتاوى ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد (المدينة المنورة د.ت)
٤- ابن ابي حاتم : ابو محمد عبد الرحمن محمد بن ادريس الرازي (ت.٣٢٧هـ) الجرح والتعديل / تحقيق عبد الرحمن بن يحيى (بيروت/١٩٥٢).
٥- ابن حجر العسقلاني : ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود (ت.٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب : تحقيق بشار عواد معروف (د.ن/ ١٩٩٣م).
٦- ابن حزم : ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان الفارسي الاندلسي القرطبي (ت /٤٥٦هـ). جمهرة انساب العرب،تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة/ ١٩٤٨م)
٧- الزركلي : خير الدين بن محمود بن محمد علي (ت.١٣٩٦هـ)،الاعلام (بيروت. ١٩٨٠م).
٨- الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٢هـ) ، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت : د.ت) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال التحقيق محمد البجاوي دار الكتب العلمية (بيروت،د.ت).
٩- ابن الخطيب : ابي بكر احمد بن علي البغدادي (ت /٤٦٣هـ) تاريخ مدينة بغداد ، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت / ١٩٩٧م)
١٠- ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. تحقيق احسان عباس بيروت/ ١٩٨٦م).
١١- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي(ت/٥٩٧هـ)، صفة الصفوة، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء (بيروت/١٩٨٦م).
١٢- ابن سعد: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري البغدادي (ت/٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى، تحقيق، احسان عباس ، (بيروت/ د-ت)

١٣- السلمي : ابو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى بن خالد النيستابوري. (ت/٤١٢هـ)، طبقات الصوفية تحقيق نور الدين (الكويت/١٩٧٥م)، حقائق التفسير، تحقيق: المستشرق ريتولد بنكولسون (كامبرج/١٩١٠م) ؛ الزهد والرقائق، تحقيق: عبدالله محمد كامل (بيروت ،٢٠٠٢).
١٤- الاصبهاني: أحمد بن عبد الله بن الحسين أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت / ٤٣٠هـ) حليه الاولياء وطبقات الاصفياء، (بيروت/ ١٩٨٨م)
١٥- العجلوني : اسماعيل بن محمد الجراحي (ت / ١١٦٢م) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس تحقيق/عبد الرحمن محمد عثمان،(بيروت/د،ت).
١٦- ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقي (ت/٥٧١هـ) تاريخ دمشق ، تحقيق عمر بن غرامة المعموري،(بيروت/د،ت).
١٧- الغزالي : ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي،(ت/ ٤٥٠)، إحياء علوم الدين، تحقيق زين الدين (بيروت/٨٠٦هـ).
-١٨- القشيري : عبد الكريم هوازن عبد الملك بن طلحه النيسابوري (ت ٤٦٥هـ) الرسالة القشيرية تحقيق عبد المسلم محمود (القاهره/د.ت)
١٩- القمي : محمد بن طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي، الأربعين في إمامة الائمة الطاهرين، تحقيق مهدي رجائي (د.ت/١٤١٨هـ).
٢٠- الكتيبي ، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، (بيروت/ ١٩٧٣م)
٢١- الهجويري، علي بن عثمان بن علي الجلابي (ت،٤٦٥هـ) كشف المحجوب، تحقيق محمد شريد، دار صادر (بيروت/١٩٦٦م).
٢٢- الهمذاني: أبي شياع شيرويه بن شهر دار بن فيروز الديلمي (ت/٥٠٩) ، تاريخ همدان، تحقيق: العبد بن بسيوني زعلول (د،ت/د،ت)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق ، تحقيق انس محمد الحسيني (بيروت/ ١٩٩٤م).
٢٣- ياقوت الحموي، عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت/ ٦٠٦هـ)، معجم البلدان ، تحقيق فريد العزيز الجندي (بيروت/١٩٩٠م)

ثانياً: المراجع

٢٤- عبد الرحمن بدوي التاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني (الكويت/١٩٧٨م)

٢٥- بولس نويا ، نصوص صوفية غير منشوره – (بيروت/١٩٨٦م)

26- Radtke, B, Theologen, wwd Mystiker in Hur assu und Trausotnien in ZDMG. Vol: 136/1(١٩٨٦)

27- Shaqiqal- Balkhi: Apioneering Ascetic Sufin Early Islam- An Analytcal Study of HisLife and Thought.